اسم المادة: اسم الله القهار

من سلسلة: الحسنى

لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسـم المادة: اسم الله القهار
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-169752.htm

أهلا وسهلاً بكم، حياكم الله.

لما قدم أبرهة بجنده وجيشه وخيلته يشق الأرض، لا يقابله شيءٌ ويهابه كل شيء، يريد هدم الكعبة بطرًا وعتوًا، لم يكن عزيزًا على الله أن يهلكه بأكثر من: "... طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ" الفيل٣:٥.

وكذلك الطغاة والعتاة على مر التاريخ، كذبت عادٌ واستكبرت، "وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً" فصلت:١٥، وثمود الذين كانوا ينحتون ".. مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ" الشعراء:١٤٩، وقد أوتوا من القوة وأسبابها ما حكى القرآن، وأما فرعون الذي بلغ بعتوه وكبريائه أن قال أنا ربكم الأعلى، لما قال الملأ من قوم فرعون "أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ –المتكبر– سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ" الأعراف:١٢٧، زال العتاة وباد الطغاة، وبقي قول ربنا –سبحانه وتعالى– الله الواحد القهار.

"يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ" غافر١٦:١٧.

في ست آيات من القرآن الكريم جاء اسم ربنا القهار –سبحانه وتعالى–، في مثل قوله –عز وجل–: "لمن الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" غافر:١٦، وقوله –سبحانه–: "قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" الرعد:١٦.

وأما اسم القاهر –جل وعلا–، فقد وقع مرتين في سورة الأنعام في قوله –تعالى–: "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ" الأنعام:١٨.

وقوله –سبحانه–: "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ" الأنعام:٦١.

الله القاهر، والقاهر اسم فاعلٍ من القهر، وهو الغلبة والنصرة والعلو على الغير مع تمام القوة والسلطة، والقهار صيغة مبالغة، فربنا –عز وجل– قد نفذ أمره في جميع خلقه وكل خلقه بلا استثناء، مقهورٌ تحت سلطانه وتدبيره، وأمره، لأنه الواحد القهار –سبحانه وتعالى–.

في الحديث الصحيح: أن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– كان إذا تَضَوَّرَ منَ الليلِ –يعني تقلب على فراشه لم يأته النوم– "كان إذا تَضَوَّرَ منَ الليلِ، قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ الواحدُ القهارُ، ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما العزيزُ الغفَّارُ"[1].

[1] صححه الألباني

حتى على الفراش كان ينبض قلب المصطفى –صلى الله عليه وسلم– ويخفق عبوديةً لله، تذللًا إخباتًا استشعارًا لمعاني أسمائه الحسنى وصفاته العلا، يُدوي بها بينه وبين نفسه على فراشه، يعلن فيها توحيده لله الموصوف بالوحدانية الموصوف بالقهر –سبحانه–، الموصوف بالربوبية والعزة والمغفرة، ما أطيبها من حياة استشعارًا بأن ربنا القاهر –سبحانه– جعل عباده كلهم تحت قهره، فأمره نافذٌ فيهم، وتدبيره أيضا لا خيار لهم فيه، ينفُذ أمره وحكمه –سبحانه– في خلقه طوعاً وكرها.

قهر عباده حتى بالموت، فكلهم مقهور، فأقوى الأقوياء وأعتى العُتاة وأكثر الأباطرة طغيانًا على وجه الأرض، فإنه يومًا ما سيذبل وينتهي ومآله إلى زوالٍ وفناء، وصدق الله: "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ" الأنعام:١٨.

قال الإمام الخطابي –رحمه الله–: القاهر الذي قهر عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر جميع خلقه بالموت.

قهرُ الله لخلقه نوعان:

عام: بالموت ونفوذ الأمر الذي لا مرد لِأَحَدٍ من الخلق عنه فكلهم مقهورٌ لله بهذا المعنى.

وأما الخاص: فالذي ينزل بأرباب العتو والطغيان والعلو والاستبداد الذي يأباه الله بين العباد، فتنزل عقوبة القاهر القهار –جل جلاله– لتجعل للطغاة حدًا، ولبغيهم بين العباد أَجَلًا محتمًا.

إن امتلاء القلب –أمة الإسلام– بصفة القهر التي يتصف بها ربنا القهار –سبحانه–، ونتعبد لله –جل جلاله– باسمه القهار واسمه القاهر لَيَزرع في النفس معاني عظيمة، تنشئ صفتين كريمتين تحتاجهما النفوس المؤمنة:

إحداهما تمام الذل والانقياد والخضوع، لأن لها ربًا قاهرًا –سبحانه وتعالى–.

وأما الأخرى فهي أن تحمل النفوس على أن تنأى عن الاستبداد والعلو والطغيان، وذلك القهر المذموم في العباد، لأنها متى علمت أن القهر لا ينبغي إلا لله صفة مدحٍ وكمال، فإنها تتنزه عنه، لأن قهر البشر إنما يقترن دومًا بالطغيان والعلو والاستبداد، والله قد قال في كتابه الكريم: "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" القصص:٨٣.

أما أن جزءً من معاني إيماننا بالله القهار –سبحانه–، وامتلاء القلوب بهذا المعنى العظيم لربنا القاهر –تبارك وتعالى– يعطينا قوة وثباتا، مهما تلاطمت بنا أمواج الحياة، واستبد ببعض جوانب حياتنا أصناف الطغاة، وتجرأوا على الحرمات، وتجاوزوا الحدود في تعاملهم مع العباد، فإن لنا ربًا كريمًا إذا ارتفعت له الأيادي، وتعلقت به القلوب وناجته الضمائر، مؤمنةً موقنةً مستنزلةً نصرها، طالبةً حقها من ربٍّ كريمٍ تؤمن بأنه عظيمٌ قادر، بأنه قويٌّ قاهر، والله إنَّ الأرض لتتزلزل، وإنَّ الجبال تُدَّك إذا تنزل نصر الله نصرًا للضعفة وأخذًا لحقوقهم، وعقوبةً للطغاة المستبدين، واقرأوا التاريخ، فكم بادت الأمم وتعاقب الطغاة المعاندون، المكذبون لله، المحادُّون لدينه، المحاربون لرسله وأوليائه، فأين هم؟ بادوا وزالوا، وبقيت آثارهم تبقى عظةً وعبرةً وآية يستلهم منها البشر الدروس والعبر والعظات، ويبقى هذا اليقين بأن ربنا هو الواحد القهار.